AL-ABQARI
USIM
ISSN 2232-0431 / e-ISSN 2504-8422 **VOL. 22 (1) 2020: 187-205**
UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA Journal of Islamic Social Sciences and Humanities
مجلة الثقافة الإسلامية والإنسانية

Submission date: 03/01/2020 Accepted date: 1/04/2020

معالم الاهتداء عند الفتن في الزّمن الحاضر وأثرها في حياة الأمّة الإسلاميّة

Landmarks to Guide the Contemporary World and Their Impact on the Islamic Ummah

Muneer Ali Abdul Rab[1], Baidar Mohammed Mohammed Hasan[2], Mesbahul Hoque[3]

[1](Corresponding author). Faculty of Sharia and Law, University of Islamic Science Malaysia. Email: muneerali@usim.edu.my.
[2]Faculty of Sharia and Law, University of Islamic Science Malaysia. Email: baidar1984@usim.edu.my.
[3]Faculty of Quran and Sunnah, University of Islamic Science Malaysia. Email: mesbahul@usim.edu.my.

Abstract

The conflict has increased within this nation and as a result, it has been weaken by tribulations and deviant. So the Nation is need of Landmarks for guidance on the right path. This research highlights the importance of these landmarks and shows their impact on the ummah. The researcher will take this inductive and analytical approach in his study in order to achieve the objectives. The study concluded that to adhere to the Qur'an and work by that is one of the greatest landmarks that guide the nation during the conflicts. As well as the awareness of religion is a significant landmark for once guidance at the time of conflict, and guides him to the bill of Righteousness. The culture of faith is one of the most vital landmarks that guide the Islamic Ummah in conflict, as it achieves its servanthood to Allah, and qualifies it to confront the troubles that may plague it. The consensus on what the righteous ancestors were: it is in which the religion and the world are fixed, and to be able to do so, and to achieve cooperation, love and union.

Keywords: Al Quran, Al Sunna, Guidance, Union, Conflict, Islamic Ummah, Islamic education.

ملخّص

كثرت الفتن في هذه الأمّة، فأصابها الوهن والضّعف، لذا فهي بحاجة ماسّة إلى منارات تضيء لها السّبيل، ودلائل ومعالم تهتدي بها. إنّ البحث في هذا الموضوع من الأهمّيّة بمكان في هذا الزّمن، لذا جاء هذا البحث ليوضّح أهمّ هذه المعالم، ويبيّن أثرها على الأمّة الإسلاميّة. واتّبع الباحث في دراسته هذه المنهج الاستقرائي والتّحليلي، وذلك باستقراء المصادر المعتمدة في هذا الموضوع؛ لإثرائه بالمعلومات المتعلّقة به، وتحليلها، ثمّ الكشف عن أبرز هذه المعالم، وتوضيح أثرها على الأمّة. وخلصت الدّراسة إلى أنّ الاعتصام بالقرآن وتدبّره والعمل به من أعظم المعالم والمنارات الّتي تهتدي بها الأمّة عند الفتن والنّوازل، فهو سبيل إلى وحدتها ونجاتها وثباتها وعزّها وكرامتها. وكذلك يعدّ التّفقّه في الدّين من أجلّ معالم اهتدائها عند الفتن، فهو الّذي يبنيها على العقيدة السّليمة، ويرشدها إلى شرعه القويم، الّذي يحقّق لها رضا الله –تعالى–، وسعادتها في الدّنيا، ونجاتها في الآخرة. كما أنّ التّربية الإيمانيّة من أهمّ المعالم؛ حيثّ إنّها تحقّق لها العبوديّة لله –تعالى– بشكلها الأمثل والأكمل، وتؤهّلها لمواجهة الصّعوبات الّتي قد تعتريها. والاجتماع على ما كان عليه السّلف الصّالح: فبه يصلح دينها ودنياها، وتتمكّن من أمرها، وتحقّق التّعاون والمحبّة والتّآخي والاتّحاد، فتستحقّ العلو والسّيادة والرّفعة والرّيادة.

كلمات افتتاحيّة: القرآن، السّنّة، الاهتداء، الاجتماع، فتن، الأمّة الإسلاميّة، التّربية الإيمانيّة.

المقدّمة

إنّ المتأمّل لواقع الأمّة الإسلاميّة اليوم، يلاحظ أنّها وصلت إلى حالة سيئة، من وَهْنٍ وشتَات واختلاف وضعف، ضعف في عقيدتها، وضعف في قوّتها، وضعف في اقتصادها، وعاد الأمر غريبًا كما بدأ غريبًا، ولا يشكّ أحد من النّاس من تباعد المسلمين عن دين الله، والبون شاسع والفارق كبير بين ما كان عليه سلفنا الصالح من عزّ ونصر وتمكين، وما عليه المسلمون اليوم من ذلّ ومهانة وضعف وضياع.

لقد تبدّل الحال وتغيّر، وبرزت ومع الأسى تيّارات وأحزاب في الأمّة تعتقد بأنّ اتّباع القرآن الكريم رجعيّة، والعمل بسنّة رسول الله تخلّف، وموالاة الكفّار شرف وتقدّم ! وأصبح الدّين في واد، والواقع في واد آخر،

بينهما برزخ لا يبغيان، وحُورب الإسلام بيد أبنائه، واستبدل شرع الله بنظم وضعيّة، وابتُليت الأمّة ببعض علماء السّوء، الّذين يلبّسون على النّاس أمر دينهم، ويفتون تبعًا لأهوائهم، وإرضاء لحكّامهم، فأحلّوا ما حرّم الله، وحرّموا ما أحلّ الله. فاحتشد الأعداء، لينالوا من أمّة كرَّمها ربّ الأرض والسّماء، خير أمّة أخرجت للنّاس، شعارهم: دمّروا الإسلام، أبيدوا أهله! بدءًا من اليهود الصّهاينة، والأمريكان، والغرب، والرّوس، وانتهاء بمن يلبسون لباس الإسلام، ويحملون جنسيّات إسلاميّة، وينتمون إلى بيوت مسلمة، لا يعرفون من الإسلام إلّا اسمه، ولا من القرآن إلّا رسمه، أشدّ ضررًا وخطرًا على المسلمين، إنّها طائفة خبيثة، تعادي الإسلام وأهله. كلّ هؤلاء مارسوا قتل أبناء الأمّة في فلسطين والعراق وسوريا وليبيا واليمن وبورما (مسلمي الرُّهينغا)، أو كانوا سببًا في القتل والتّعذيب والتّهجير.

مشكلة البحث

إنّ تكالب الأعداء على أمّة الإسلام من أسباب ضعفها، سواء أكانوا أعداء ظاهرين، أم من أبناء جلدتنا، وقد كشف رسولنا الكريم –صلّى الله عليه وسلّم– لأمّته أسباب ضعفها حين تَضعُف، وهوانها حين تهون، فقال: «يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا»، فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزَعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ»، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: «حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ». (أبو داود، 2009، 355)، فبيَّن رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم– أنّ سبب ذلك، هو حبُّ الدّنيا وكراهيّة الموت، هذا هو مبعَث الوهَن الحقيقيّ، وسرُّ الضّعف المقيت، أن يَخلد المرء إلى دنياه فيَعيش عبدًا لها، مِطواعًا لأوضاعِها، أسيرًا لقيودِها، تُحرِّكه الملذّات كالخاتم في الإصبع، وتُسيِّره الرّغائب كالكرة في صولجان الفارس، يتحرّك أحدهم في مدار محدود فاقد الهدف، معصوب العينين، سليب الغاية؛ ممّا يجعل الحاكم في سلطانه عبدًا ضعيفًا ذليلاً أمام امرأة يَعشقها، أو شهوة يطمَع في نَيلِها، أو بطانة تُعينه على ظُلمِه وطُغيانه وسَرِقاته ونزواته. وكراهيّة الموت هي الّتي تجعل الأفراد والجماعات يؤثرون حياة ذليلة على موتٍ كريم، يُؤثرون حياة يموتون فيها كلّ يوم موتات، على موت يَحيون بعده حياة الخلود. (النّقيب، 2015، الأمّة بين تكالب الأعداء وتخاذل الأصدقاء. https://www.alukah.net/world_muslims/0/93141).

إنّ المتتبّع لواقع الأمّة الإسلاميّة اليوم، يلاحظ التّمزّق والتّباغض والتّحاسد والانحلال، سيّما الّذين يعيشون في دول الغرب، فبعض الأفراد تشوّهت عقيدته، وحدث له قصور في الفهم، وضعف في شعوره بانتمائه للأمّة الإسلاميّة، وجهل لكثير من أمور دينه، ووقع تحت تأثير الفكر المعادي للإسلام، الّذي أوهمه أنّ السّبيل الوحيد للخلاص من الفقر والجهل والتّخلّف، هو التّخلّص من ربقة الإسلام ! إنّه واقع مرير، يجعل القلب مفعَمًا بالحزن والأسى والألم، بعد ما كان ينتقل في مدارج السّموّ، ويتربّع على ذروة المجد، ومعارج الشّرف، لذا فالأمّة بحاجة ماسّة إلى منارات تضيء لها الطّريق، وتهتدي بها؛ فإنّ الأحداث والمخاوف الّتي تعيشها الأمّة اليوم لها تأثير على مسيرة حياتها، وبعلاقتها بربّها وبمن حولها، لكن بهذه المنارات يصبح طوق النّجاة ملازمًا لها، والخير في متناول يدها، والفرج قاب قوسين أو أدنى. أنشد ابنُ دُريدٍ عن أبي حاتمٍ (الماوردي،1986):

إِذَا اشْتَمَلَتْ عَلَى الْيَأْسِ الْقُلُوبُ ... وَضَاقَ لِمَا بِهِ الصَّدْرُ الرَّحِيبُ
وَأَوْطَنَتْ الْمَكَارِهُ وَاطْمَأَنَّتْ ... وَأَرْسَتْ فِي مَكَانَتِهَا الْخُطُوبُ
وَلَمْ تَرَ لِانْكِشَافِ الضُّرِّ وَجْهًا ... وَلَا أَغْنَى بِحِيلَتِهِ الْأَرِيبُ
أَتَاك عَلَى قُنُوطٍ مِنْك غَوْثٌ ... يَمُنُّ بِهِ اللَّطِيفُ الْمُسْتَجِيبُ
وَكُلُّ الْحَادِثَاتِ إِذَا تَنَاهَتْ ... فَمَوْصُولٌ بِهَا الْفَرَجُ الْقَرِيبُ

كما أنّ هناك بشارات عظيمة لهذه الأمّة، فقد بشّرها النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– بقوله: «بَشِّرْ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِالسَّنَاءِ، وَالرِّفْعَةِ، وَالنَّصْرِ، وَالتَّمْكِينِ فِي الْأَرْضِ، ...الحديث» (أحمد،2001، 146)، لذا فلا نجعل اليأس ينسج خيوطه على آمالنا.

منهج البحث

سوف يتّبع الباحث في دراسته هذه المنهج الاستقرائي والتّحليلي ليحقّق الهدف المنشود من موضوعه، وذلك باستقراء المصادر والمراجع المعتمدة في هذا الموضوع، سواء أكانت كتبًا أم دراسات أكاديميّة أم بحوثًا ومقالات؛ لإثرائه بالمعلومات المتعلّقة به، وتحليلها، وتفسيرها، ثمّ الكشف عن أبرز هذه المعالم، وتوضيح أثرها على الأمّة الإسلاميّة.

الدّراسات السّابقة

لم يجد الباحث –حسب اطّلاعه– دراسة تطرّقت إلى هذه المعالم محلّ الدّراسة، وهناك دراسة وقفتُ عليها، سردت معالم بإيجاز، للشّيخ عبد العزيز بن محمّد السّدحان. (السّدحان، د.ت، معالم في أوقات الفتن والنّوازل.https://www.noor %D9%84-pdf). ومعالم الدّراسة السّابقة، تختلف عن معالم الدّراسة الحاليّة، وهي معالم قيّمة، لكنّها فروع تندرج تحت أصول، وإبراز هذه الأصول، يغني عنها، ويزيد عليها، وهي الّتي ستكشف عنها الدّراسة الحاليّة. فمن المعالم الّتي تناولتها الدّراسة السّابقة: لزوم الدّعاء، والرّضا بالقدر، والحذر من تزكية النّفس، والتّأنّي وعدم التّعجّل في إطلاق الأحكام، والحذر من الظّنون السّيئة والجدل و...، والتّعويل على العلماء الرّاسخين، ومراعاة حال المسلمين في أثناء الضّعف والقوّة، والحرص على العبادة، ودعوة غير المسلمين، وغيرها.

أبرز معالم الاهتداء عند الفتن، وأثرها في حياة الأمّة الإسلاميّة

سوف يتناول الباحث هذه المعالم في أربعة مباحث، كلّ مبحث يمثّل مَعْلَمًا. إنّ من أجلّ وأعظم المعالم والمنارات الّتي يُهتدى بها عند الفتن والنّوازل في الزّمن الحاضر، ما يلي:

المبحث الأوّل: الاعتصام بالقرآن وتدبّره والعمل به وأثره على الأمّة

إنّ الاعتصام والتّمسّك بالقرآن من أعظم معالم الاهتداء عند الفتن، قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ (آل عمران:103)، وخرج رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم– على أصحابه ذات يوم، فقال: «أَبْشِرُوا وَأَبْشِرُوا، أَلَيْسَ تَشْهَدُونَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ؟» قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «فَإِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ سَبَبٌ طَرَفُهُ بِيَدِ اللَّهِ، وَطَرَفُهُ بِأَيْدِيكُمْ، فَتَمَسَّكُوا بِهِ، فَإِنَّكُمْ لَنْ تَضِلُّوا، وَلَنْ تَهْلِكُوا بَعْدَهُ أَبَدًا» (ابن حبّان، 1993، 329)، وقد أُمرنا عند التّنازع في أمور الدّين أن نردّه إلى كتاب الله وسنّة رسوله، فقال تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (النّساء:59)، كما أمرنا بالأخذ بكلّ ما جاء به الرّسول –عليه الصّلاة والسّلام–، والانتهاء عن كلّ ما نهى عنه، فقال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ (الحشر:7). فالقرآن

والسّنّة هما الأصلان لأدلّة الأحكام والتّشريع، ولا يجوز الأخذ بالرّأي المجرّد الّذي لا يستند إلى أصل من الدّين (ابن حجر، 1379).

وأصل الدّين: القرآن الكريم، فهو أصل الأصول، وأصل العلم، ومنهج تحقيق الخلافة، لذا يجب على الأمّة الإسلاميّة الاهتمام به والتّأمّل في معانيه وتدبّره، وقد دعا الله –عزّ وجلّ– عباده إلى تدبّر آيات كتابه العزيز في أكثر من موضع، منها قوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (ص~:29).

أثر الاعتصام بالقرآن وتدبّره والعمل به في حياة الأمّة الإسلاميّة

يقول ابن القيّم (751هـ) مبيّنًا تدبّر كتاب الله وأثره –وسأتحرّى أن أنقل جلّ كلامه؛ لما فيه من الفائدة العظيمة–، قال: وأمّا التّأمّل في القرآن فهو تحديق ناظر القلب إلى معانيه، وجمع الفكر على تدبّره وتعقّله، وهو المقصود بإنزاله، لا مجرّد تلاوته بلا فهم ولا تدبّر، فليس شيء أنفع للعبد في معاشه ومعاده، وأقرب إلى نجاته من تدبّر القرآن، وإطالة التّأمّل فيه، وجمع الفكر على معاني آياته، فإنّها تطلع العبد على معالم الخير والشّرّ بحذافيرهما، وعلى طرقاتهما وأسبابهما وغاياتهما وثمراتهما، ومآل أهلهما، وتتُلّ في يده مفاتيح كنوز السّعادة والعلوم النّافعة، وتثبّت قواعد الإيمان في قلبه، وتشيّد بنيانه وتوطّد أركانه، وتريه صورة الدّنيا والآخرة والجنّة والنّار في قلبه، وتحضره بين الأمم، وتريه أيّام الله فيهم، وتبصّره مواقع العبر، وتشهده عدل الله وفضله، وتعرّفه ذاته، وأسماءه وصفاته وأفعاله، وما يحبّه وما يبغضه، وصراطه الموصل إليه، وما لسالكيه بعد الوصول والقدوم عليه، وقواطع الطّريق وآفاتها، وتعرّفه النّفس وصفاتها، ومفسدات الأعمال ومصحّحاتها، وتعرّفه طريق أهل الجنّة وأهل النّار وأعمالهم، وأحوالهم وسيماهم، ومراتب أهل السّعادة وأهل الشّقاوة، وأقسام الخلق واجتماعهم فيما يجتمعون فيه، وافتراقهم فيما يفترقون فيه، وتعطيه قوّة في قلبه، وحياة، وسعة وانشراحًا وبهجة وسرورًا، وتثبّت قلبه عن الزّيغ، والميل عن الحقّ والتّحويل، وتسهّل عليه الأمور الصّعاب والعقبات الشّاقّة غاية التّسهيل، وتناديه كلّما فترت عزماته ووني في سيره، وتحدو به وتسير أمامه سير الدّليل، وكلّما خرج عليه كمين من كمائن العدوّ، أو قاطع من قطّاع الطّريق، نادته: الحذر الحذر! فاعتصم بالله، واستعن به، وقل: حسبي الله ونعم الوكيل، وفي تأمّل القرآن وتدبّره، وتفهّمه، أضعاف أضعاف ما ذكرنا من الحكم والفوائد (ابن القيّم، 1996).

وقال السّعدي (1376هـ) موضّحًا أثر تدبّر كتاب الله: فإنّ تدبّر كتاب الله مفتاح للعلوم والمعارف، وبه يستنتج كلّ خير وتستخرج منه جميع العلوم، وبه يزداد الإيمان في القلب وترسّخ شجرته؛ فإنّه يعرّف بالرّبّ المعبود، وما له من صفات الكمال، وما ينزّه عنه من سمات النّقص، ويعرّف الطّريق الموصلة إليه وصفة أهلها، وما لهم عند القدوم عليه، ويعرّف العدوّ، والطّريق الموصلة إلى العذاب، وصفة أهلها، وكلّما ازداد العبد تأمّلًا فيه ازداد علمًا وعملًا وبصيرة، إلى أن قال: ومن فوائد التّدبّر لكتاب الله: أنّه بذلك يصل العبد إلى درجة اليقين والعلم بأنّه كلام الله، لأنّه يراه يصدّق بعضه بعضًا، ويوافق بعضه بعضًا، فترى الحكم والقصّة والإخبارات تعاد في القرآن في عدّة مواضع، كلّها متوافقة متصادقة، لا ينقض بعضها بعضًا، فبذلك يعلم كمال القرآن، وأنّه من عند من أحاط علمه بجميع الأمور (السّعدي، 1420).

وثمرة تدبّر القرآن: العمل به، وقد كان السّلف يتعلّمون؛ ليعملوا، لا ليستكثروا من المعارف والعلوم، فَعَنْ عَطَاءٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ: حَدَّثَنَا مَنْ كَانَ يُقْرِئُنَا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، أَنَّهُمْ كَانُوا " يَقْتَرِئُونَ مِنْ رَسُولِ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– عَشْرَ آيَاتٍ "، فَلَا يَأْخُذُونَ فِي الْعَشْرِ الْأُخْرَى حَتَّى يَعْلَمُوا مَا فِي هَذِهِ مِنَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ، قَالُوا: فَعَلِمْنَا الْعِلْمَ وَالْعَمَلَ (أحمد، 2001، 466)، فإذا تدبّرت الأمّة الإسلاميّة كتاب ربّها، وعملت به، فقد استنارت بالنّور الّذي يبدّد ظلام الجهل، ويهدي صاحبه إلى سواء الصّراط، فلا يضلّ ولا يشقى، ولا خوف عليه ولا حزن، قال تعالى: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ (طه:123)، وقال تعالى: ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة:38).

قال السّعدي (1376هـ): فرتّب الله على اتّباع هداه أربعة أشياء: نفي الخوف والحزن، فنفاهما عمّن اتّبع هداه، وإذا انتفيا، حصل ضدّهما، وهو الأمن التّام، وكذلك نفي الضّلال والشّقاء عمّن اتّبع هداه، وإذا انتفيا، ثبت ضدّهما، وهو الهدى والسّعادة، فمن اتّبع هداه، حصل له الأمن والسّعادة الدّنيويّة والأخرويّة والهدى، وانتفى عنه كلّ مكروه، من الخوف، والحزن، والضّلال، والشّقاء، فحصل له المرغوب، واندفع عنه المرهوب، وهذا عكس من لم يتّبع هداه (السّعدي، 1420، 50). ومن آثار الاعتصام بكتاب الله في حياة الأمّة الإسلاميّة التّمكين في الأرض، وتيسير الأسباب، والاستقرار وعدم الاضطراب، قال الله –تعالى–:

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً﴾ (النّور:55).

ولنا في صفحات الرّعيل الأوّل، وصنائعهم الخالدة الدّروس والعبر، كيف فتح الله عليهم البلاد، وقهر لهم العباد، وأعانهم حتى تهاوت لهم عروش الجبابرة من أهل الكفر والعناد، فأصبحوا بالتّمسّك بالقرآن الكريم والاعتصام به سادة وقادة، بعد أن كانوا مسودين ومستعبدين. فكلّ شعاع من أشعّة أولئك الصّادقين ليستحقّ أن يُستضاء به، وتستفيد منه أمّتنا اليوم، وتنتفع بتوجيهاتهم التّربويّة القائمة على أساس الفهم العميق لكتاب الله –تعالى–، وصحيح سنّة رسوله؛ ليكون لها دورها الفاعل في إصلاح المنظومة الإنسانيّة والاجتماعيّة والفكريّة وسائر الشّؤون الحياتيّة. فإنّ حال الأمّة الإسلاميّة اليوم لا يسرّ صديقًا ولا يغيظ عدوًّا؛ لما تعانيه من فرقة وخلاف بين دولها ونخبها الفكريّة بمختلف توجّهاتها ومشاربها، حتّى باتت كالسّفينة الّتي تتقاذفها الرّياح وسط أمواج عاتية في بحر متلاطم، ولا سبيل إلى وحدتها إلّا بالاعتصام بكتاب الله –تعالى–، وتدبّره والعمل به، فهو لها نجاة وثبات ونور وسعادة وعزّ وتمكين.

ولتعلم الأمّة اليوم أنّه لا رسوخ لقدَم، ولا أنس لنفس، ولا تسلية لروح، ولا تحقيق لوعد، ولا أمن من عقاب، ولا ثبات لمعتقد، ولا جمع لكلمة، ولا توحيد لجهد، إلّا بأن تتّجه بكامل أحاسيسها ومشاعرها وقلبها وقالبها إلى كتاب ربّها، إلى القرآن الكريم، فحريّ بها أن تعتني به؛ تلاوة وتدبّرًا وحفظًا وعملًا، فهو طريق ثباتها على الصّراط المستقيم، وهو المهذّب لسلوكها، وهو سبيلها للوصول إلى الخيريّة المنشودة في قول نبيّنا الكريم: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ» (البخاري، 1422، 192)، وهو طريق عزّها وكرامتها ومجدها وسيادتها.

المبحث الثّاني: التّفقّه في الدّين وأثره على الأمّة الإسلاميّة

ثبت عنه صلّى الله عليه وسلّم أنه قال: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، ... » (البخاري، 1422، 101، ومسلم، د.ت، 1524)، فالفقه في الدّين خير كلّه، وفيه بشارة أنّ من أراد الله به خيرًا فقّهه في الدّين؛ أي يسّر له طلب العلم ورزقه الفهم، قال ابن بطّال (449هـ): "وفيه فضل الفقه فى الدّين على

سائر العلوم" (ابن بطّال، 2003، 154)، وجاء في كتاب (بهجة قلوب الأبرار وقرّة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار): هذا الحديث من أعظم فضائل العلم، وفيه: أنّ العلم النّافع علامة على سعادة العبد، وأنّ الله أراد به خيراً، والفقه في الدّين يشمل الفقه في أصول الإيمان، وشرائع الإسلام والأحكام، وحقائق الإحسان، فإنّ الدّين يشمل الثّلاثة كلّها، ويدخل في ذلك التّفقّه في العقائد، وعلم الفقه، أصوله وفروعه، والتّفقّه بحقائق الإيمان، ومعرفة السّير والسّلوك إلى الله، وتعلُّم جميع الوسائل المعينة على الفقه في الدّين كعلوم العربيّة بأنواعها، فمن أراد الله به خيراً فقّهه في هذه الأمور، ووفّقه لها، ودلّ مفهوم الحديث على أنّ من أعرض عن هذه العلوم بالكلّيّة، فإنّ الله لم يرد به خيرًا؛ لحرمانه الأسباب الّتي تنال بها الخيرات، وتكتسب بها السّعادة (السّعدي،1420).

ولأهمّيّة التّفقّه في الدّين وفضله، دعا النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– لابن عبّاس، فقال: "اللّهمّ فَقِّهْه في الدِّين، وعَلِّمْهُ التّأويل" (أحمد،2001، 225). وأنّ الجهل لما فشا في الأمّة الإسلاميّة اليوم وعمّ وطمّ، وذلك لقلّة اهتمامها بالعلم الشّرعي بالفقه الإسلامي، ورَّث لدى أجيالنا إعجابًا شديدًا بالحضارة الغربيّة الماديّة، وأصبحت الدّعوة إلى تطبيقها على الفرد والأسرة والمجتمع حديث السّاعة، ظنًّا منهم وجهلًا بحضارتهم أنّ التّفقّه في الدّين ضدّ المساواة، وضدّ الحرّيّة، ولو كلّفوا أنفسهم قراءة تراثهم الفقهي بموضوعيّة وتجرّد، لتيقّنوا أنّ العدل الحقّ، والمساواة الفطريّة الشّاملة، والحرّيّة الإنسانيّة المتوازنة، لا وجود لها حقيقة إلّا في تطبيق شريعتهم الّتي تضمن لهم قيمهم وكرامتهم وإنسانيّتهم. (محمّد البخاري، 2016، قراءة في التّوجيهات النّبويّة وتصوّرات المجتمع. http://almahajjafes.net/2016/10).

أثر التّفقّه في الدّين في حياة الأمّة الإسلاميّة

إنّ الفقه في الدّين له أثر عظيم على الأمّة؛ فهو الّذي يبنيها على العقيدة السّليمة، ويرشدها إلى شرعه القويم، الّذي يحقّق لها رضا الله –تعالى–، وسعادتها في الدّنيا، ونجاتها في الآخرة، وذلكم هو الفوز العظيم، كما أنّ الفقه في الدّين يحمي الأمّة بأفرادها وجماعاتها، من الوقوع في البدع والخرافات؛ لأنّه يحقّق صواب العمل ومشروعيّته، وصحّه العمل أحد شرطي قبوله بجانب الإخلاص، كما يحمّي الأمّة من الهلكة والتّفرّق، إلى غير ذلك من المصالح العظمى، ذلكم صراط الله المستقيم وشرعه القويم، تنزيل من حكيم حميد، من تمسّك به اهتدى ورشد، ومن ضلّ عنه غوى وشقي. قال النّوويّ (676) في الحديث المتقدّم: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ

بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، ... »: "فيه فضيلة العلم، والتّفقّه في الدّين، والحثّ عليه، وسببه: أنّه قائد إلى تقوى الله –تعالى–" (النّوويّ، 1392، 128). وقال ابن بطّال (449هـ): وإنّما ثبت فضل التّفقّه في الدّين؛ لأنّه يقود إلى خشية الله، والتزام طاعته، وتجنّب معاصيه" (ابن بطّال، 2003). وقال الخضر (1377): "والتّقوى الصّادرة عن التّفقّه في الدّين بحقّ، هي الّتي تكسو الواعظ وقارًا وحسنَ سمتٍ غير مصطنع، فتمتلئ العيون بمهابته، فإذا ألقى الموعظة، ذهبت توًّا إلى القلوب، وأثمرت كلمًا طيّبًا، وعملًا صالحًا" (الخضر، 2010، 81).

لذا حرص السّلف الصّالح –رحمهم الله– على طلبه، وبذلوا في سبيل تحصيله المهج والأموال والأقوات، وكلّ غال ونفيس. فجدير بالأمّة الإسلاميّة أن تتفقّه في دينها؛ فإنّه معلم من معالم اهتدائها عند الفتن، فبه تعرف ربّها، وحقّه عليها، وجزاءها عنده، وتميّز الحقّ من الباطل، والخير من الشّرّ، والحلال من الحرام، وتجتنب الفتن والبدع واتّباع الهوى والخرافات، وتطمس الجهل، وتدحض شبهات الشّيطان وأتباعه وزخرفتهم وتضليلهم، فتزداد خشية لله، وتسلم عقيدتها، وتصحّ عبادتها، وتحسن معاملتها، وتنال سعادتها، ويمتدّ نظرها إلى الآخرة، فتنشغل بإصلاحها، وتجعل الدّنيا مزرعة وسببًا للفلاح بجزيل الأرباح فيها. ومن فاته الفقه فلا حياة لقلبه، ولا صحّة لعمله؛ لأنه فاقد للعلم الّذي يبصر بذلك كلّه.

المبحث الثّالث: التّربية الإيمانيّة وأثرها على الأمّة الإسلاميّة

إنّ الأمّة الإسلاميّة اليوم بحاجة إلى تحرير العقيدة من زيف الجمود، وما دخَلها من أوهام وشبهات وأفكار مناوئة للإسلام، تغشاها ليلًا ونهارًا، تضليلاً وتخريباً لعقيدتها ! بحاجة إلى وَحدة جامعة في ثقافتها، وشتّى مناحي حياتها، بحيث تناضل من أجل إعلاء الحقّ، فلا تسمح بانتقاص له ولا حَيْف عليه، حتّى تستحقّ أن تكون أمّة فكرة ومنهاج، ولا يتحقّق ذلك إلّا بالتّربية الإيمانيّة المستمدّة من كتاب الله، وسنّة رسوله، والّتي تعتبر ركيزة أساسيّة في تربية النّفس، وترقية الرّوح، وتوجيه السّلوك وتهذيبه في التّعامل مع الآخرين، حيث تستلزم التّربية على مكارم الأخلاق، ومحاسن العادات.

وقد رسم لنا القرآن الكريم نماذج من هذا المنهج التّربوي، منها قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ. وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ. وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ. يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ. يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ. وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ. وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ (لقمان:13-19).

ومنها: المنهج التّربوي والإيماني الّذي رسمه لنا رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم–، إمام الدّعاة، والقدوة والأسوة والمعلّم والمربّي الحكيم، في وصيّته لابن عبّاس: «يَا غُلاَمُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلاَمُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ» (الترمذي،1975، 667).

أثر التّربية الإيمانيّة في حياة الأمّة الإسلاميّة

إنّ هذه الوصايا الّتي خرجت من لسان حكيم، آتاه الله الحكمة، ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ (لقمان:12)، معالم يهتدى بها في الظّلمات؛

فالوصيّة الأولى: غرس عقيدة التّوحيد، وهي الإيمان بالله، وعدم الشّرك به، وهي من أجلّ الوصايا وأعظمها على الإطلاق، فهي أساس الدّين والملّة.

والوصيّة الثّانية: طاعة الوالدين والبرّ بهما، وهي من أعظم الحقوق والواجبات، وأجلّ القربات، وأحد أهمّ مقوّمات تماسك الأمّة وثباتها.

والوصيّة الثّالثة: مراقبة الله –تعالى–، وهي من أعظم أصول التّربية الإيمانيّة، وبواعث المسارعة إلى الطّاعات.

والوصيّة الرّابعة: ملازمة العبادات، فأمره بأعظم فرائض الإسلام، وعماده، وهي الصّلاة، الّتي تقوّي الرّوابط الرّوحيّة، وتشدّ المجتمع بعضه إلى بعض، وتطهّره من الرّذائل والفواحش.

ثمّ أمره بشعيرة عظيمة من شعائر الدّين، وهي الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر (الوصيّة الخامسة)، الدّرع الواقي للمجتمع من الانحلال والفساد، وبالصّبر على مشاقّ الدّعوة إلى الله، أعظم الفضائل، وأرفعها مكانة، وهي (الوصيّة السّادسة)، وبيّن له أنّ ذلك من عزائم الأمور، ثمّ أمره بالتّحلّي بزينة الأخلاق، وهي التّواضع (الوصيّة السّابعة)، سرّ كلّ توفيق ورفعة، وهي صفة من صفات عباد الرّحمن، وخلق من أخلاق أوليائه، وختم وصاياه له بآداب المشي والحديث مع الآخرين، وهي (الوصيّة الثّامنة)، فكلّ تلك الأخلاق سبيل للارتقاء بالمؤمن إلى مدارج الكمال، كما ثبت عنه صلّى الله عليه وسلّم أنّه قال: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا». (أبو داود.د.ت.111).

إنّها وصايا جمعت في طيّاتها جميع مظاهر التّربية الإيمانيّة، فلزامًا على الأمّة الإسلاميّة؛ آباء وأمّهات ومربّين أن يغرسوها في أبنائهم وبناتهم، في زمن تكالب فيه أعداء الإسلام على أهله، وكشّر الشّرّ عن أنيابه، تموج فيه الفتن كموج البحر، وتطغى فيه ظلماتها على معالم السّنن، وتشتبه فيه طرق السّير على السائرين، وتنبعث فيه سيول المغريات، فعظمت فيه الغربة، واشتدّت فيه الكربة، والتبس فيه الحقّ بالباطل.
كما أنّ المنهج التّربويّ والإيمانيّ الّذي رسمه لنا رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم–، في وصيّته لابن عبّاس أصل عظيم في تربية الصّبيان تربية إيمانيّة، تؤهّلهم لمواجهة الصّعوبات الّتي قد تعتريهم، والأعاصير الّتي قد تحيق بهم، وكلّها تدور على تعلّق القلب بالله، والالتفات إليه، وقطع الطّمع والرّجاء في ما عند النّاس، وتفويض الأمر إلى الله وحده.

فخليق بالأمّة الإسلاميّة اليوم أن تحرص على تطبيق هذا المنهج؛ فإنّه منهج للآداب السّامية، وللتّربيّة الإيمانيّة، بها تستنير عتبات الطّريق، ومنها تستلهم الحلول النّاجعة لمشكلات الحياة، وأن تسعى لغرسها في نفوس أبنائها وبناتها، سيّما شبابها؛ فهم اللّبنات القويّة، والسّواعد الفتيّة الّتي يعوّل عليها نصرة هذا الدّين.

المبحث الرّابع: الاجتماع على ما كان عليه السّلف الصّالح وأثره على الأمّة

لن يستقيم للأمّة الإسلاميّة حال في دنياهم ومآلهم إلّا بالاتّفاق والائتلاف، واجتناب التّنابذ والاختلاف، ولا يحصل الاتّفاق الكامل، الّذي تكون فيه المحبّة والألفة، والّذي كان عليه السّلف الصّالح إلّا مع اتّفاق الدّين، والعقيدة، فإذا كان الدّين حقًّا، والعقيدة صافية من الشّوائب، وسالمة من الانحرافات والغوائل، فهناك يقوى الاتّفاق ويتمّ، وتتأصّل الرّابطة، ويحصل البذل والإيثار.

إنّ الله –تعالى– أوجب على المسلمين أن يجتمعوا على دين الحقّ الذي هو الإسلام، وأن يعتصموا بكتاب الله –تعالى–، وأن تكون وحدتهم عليه، فعليه يجتمعون وبه يتّحدون، قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾ (آل عمران:103)، لا بالقوميّات والجنسيّات، ولا بالمذاهب والأوضاع السّياسيّة الّتي اخترعوها بأفكارهم القاصرة. (عبدالله الغنيمان، 2011، ذمّ الفرقة والاختلاف في الكتاب والسّنّة.) .https://www.alukah.net/web/goniman/0/34260

كما نهى سبحانه وتعالى عبادة عن التّفرّق والاختلاف، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا﴾ (آل عمران:105)، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ (آل عمران:103)، قال ابن كثير (774هـ): أمرهم بالجماعة ونهاهم عن التّفرقة. وقد وردت الأحاديث المتعدّدة بالنّهي عن التّفرق والأمر بالاجتماع والائتلاف (ابن كثير،1420)، منها: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: " إِنَّ اللهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا، فَيَرْضَى لَكُمْ: أَنْ تَعْبُدُوهُ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ: قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةِ الْمَالِ" (مسلم، د.ت، 1340). ومنها: عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: " مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى" (مسلم، د.ت، 1999). ومنها: عَنْ أَبِي مُوسَى، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا» (البخاري،1422، 103، ومسلم، د.ت، 1999). فهذه الأحاديث صريحة في تعظيم حقوق المسلمين بعضهم على بعض، وحثّهم على التّراحم والملاطفة والاجتماع والتّعاضد في غير إثم ولا مكروه (النّووي، 1392).

قال السّعدي (1376) عند شرحه لحديث «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ ...»: هذا حديث عظيم، فيه الخبر من النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– عن المؤمنين أنّهم على هذا الوصف، ويتضمّن الحثّ منه على مراعاة هذا الأصل، وأن يكونوا إخوانًا متراحمين متحابّين متعاطفين، يحبّ كلّ منهم للآخر ما يحبّ لنفسه، ويسعى في ذلك، وأنّ عليهم مراعاة المصالح الكلّيّة الجامعة لمصالحهم كلّهم، وأن يكونوا على هذا الوصف؛ فإنّ البنيان المجموع من أساسات وحيطان محيطة كلّيّة، وحيطان تحيط بالمنازل المختصّة، وما تتضمّنه من سقوف وأبواب ومصالح ومنافع، كلّ نوع من ذلك لا يقوم بمفرده حتّى ينضمّ بعضها إلى بعض، كذلك المسلمون يجب أن يكونوا كذلك؛ فيراعوا قيام دينهم وشرائعه، وما يقوّم ذلك ويقوّيه، ويزيل موانعه وعوارضه، ... كما حثّ الحديث على ما يوجب المحبّة بين المؤمنين، وما به يتمّ التّعاون على المنافع، ونهى عن التّفرّق والتّعادي، وتشتيت الكلمة (السّعدي، 2002). لقد قرّرت الأحاديث السّابقة معنى الاتّحاد والتّعاضد والاجتماع الّذي يجب أن يكون بين أفراد المؤمنين على أكمل وجه في التّصوير، وأبلغ وجه في التّأثير، فقد شبّه ذلك بالبنيان يشدّ بعضه بعضًا؛ بيانًا للقوّة والتّآلف والتّعاون النّاتجة عنه، ففي اتّحاد أفراد الأمّة القوة والصّمود أمام الأعداء.

أثر الاجتماع على ما كان عليه السّلف الصّالح في حياة الأمّة الإسلاميّة

قال محمّد الأمين الهرري في قوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾ (آل عمران:103): "أي اجتمعوا على الاعتصام بالكتاب والسّنة اعتقادًا وعملًا، فتتّفق كلمتكم وينتظم شتاتكم، فتتمّ لكم مصالح الدّين والدّنيا، وتسلموا من الافتراق والاختلاف الّذي حصل لأهل الكتابين (الهرري،1430).

فإنّ في اجتماع المسلمين على دينهم، وائتلاف قلوبهم يصلح دينهم وتصلح دنياهم، وبالاجتماع يتمكّنون من كلّ أمر من الأمور، ويحصل لهم من المصالح الّتي تتوقّف على الائتلاف ما لا يمكن عدّها، من التّعاون على البرّ والتّقوى، كما أنّ بالافتراق والتّعادي يختلّ نظامهم وتنقطع روابطهم، ويصير كلّ واحد يعمل ويسعى في شهوة نفسه (السّعدي، 1420).

حقيق على الأمّة الإسلاميّة أن تجتمع على الكتاب والسّنّة، لا سيّما في هذا الزّمن، الّذي كثرت فيه الفتن، وتكالب فيه الأعداء، ولا شكّ أنّ قوّة المسلمين وغلبتهم لا يتحقّق إلّا في الاعتصام والاجتماع، الّذي دعا

إليه الإسلام، ويعدّ إحدى قواعده ودعائمه؛ فإنّ الإسلام يدعو إلى الاجتماع لا الافتراق، والتّعاون لا التّناحر، والمحبّة لا التّباغض، والتّآخي لا التّعادي، والاتّحاد لا التّباعد، هذا هو منهج الإسلام، فلا يوجد دين سماويّ، ولا مذهب أرضيّ، دعا إلى هذه الأمور، وعُني بها وحرص عليها، كدين الإسلام، فشرع من مناهج التّوحيد، وشعائر التّعبّد، وشرائع التّكافل، ما يعين على تحقيقها وتعميقها، وما يحارب روح العصبيّة ونوازع الاختلاف والافتراق.

إنّ الأمر بالجماعة والنّهي عن الفرقة أصل من أصول الإسلام العظيمة، وقاعدة من قواعد الدّين، والمتأمّل في أركان الإسلام الخمسة في حديث ابن عمر –رضي الله عنهما– قَالَ رَسُولُ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ، شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ الْبَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ» (البخاري، 1422، ومسلم، د.ت، 45)، يجد أنّ هذا الأصل العظيم قد تجلّى فيها بوضوح؛ فعقيدة التّوحيد المتمثّلة في الشّهادتين هي أعظم ما يجمع المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، وبوحدة المعتقد وصفائه، تتحقّق وحدة الجماعة، كما أنّ الصّلوات الخمس المكتوبة، ممّا تجمع المسلمين في عددها وكيفيتها وشروطها وأركانها، فهي أنموذج أمثل للوحدة بين المسلمين، وبالزّكاة تطهّر النّفس من الشّحّ والبخل، وتزرع فيها المشاعر النّبيلة الّتي تجعل النّاس يشعرون بآلام الآخرين، فيواسي الغنيّ الفقير، ويرفده ويعطيه من ماله ما يعينه على حاجاته، ممّا يجعل الأمّة متماسكة مجتمعة متآلفة، تقوم على أواصر المحبّة والأخوّة والتّعاون، وفي الصّيام تربية للأمّة على الوحدة والاجتماع وعدم التّفرق، فتصوم الأمّة كلّها برؤية الهلال، وتمتنع عن المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشّمس، وتفطر بعد غروب شمس آخر يوم من رمضان، ويؤدّي المسلمون سُنّة التّراويح جماعة، ويشتركون في الفرح بإتمام صوم شهرهم، وفي الحجّ تجتمع الأفئدة على قصد واحد، وتنتظم في أداء موحّد لمناسكه، ويجهر الحجيج من مشارق الأرض ومغاربها بصوت واحد تلبية لدعوة التّوحيد، فمن أعظم منافع هذه الفريضة أنّها تبرز وحدة المسلمين على اختلاف أجناسهم وألوانهم، وتذكي مشاعرهم، وتجدّد روح الانتماء إلى هذه الأمّة.

إنّ وحدة الأمّة واجتماعها على ما كان عليه سلفها لا يتحقّق إلّا حينما تتناصر وتتعاضد، وتكون يدًا واحدة، حينما تجتمع القلوب وتتعاطف على أساس قويّ ورابط أبديّ، على أساس الإيمان بالله –تعالى–

الذي لا تؤثر عليه دنيا فانية، ولا يغيّره عرض زائل، عندها تستحقّ الأمّة العلوّ والسّيادة والرّفعة والرّيادة، وعندما سلك هذا المنهج السّلف الصّالح، استطاعوا أن يكوّنوا أكبر دولة وأعظمها، لا تستطيع القوى الماديّة مجتمعة إيجاد مثلها.

لذا لن تقوم للمسلمين دولة عزيزة قويّة في زمننا الحاضر، إلّا إذا سلكوا سبيل أوائلهم وأسلافهم، واجتمعوا على ما اجتمعوا عليه. قال ابن تيميّة (728هـ): "والخير كلّ الخير في اتّباع السّلف الصّالح، والاستكثار من معرفة حديث رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم– ، والتّفقّه فيه، والاعتصام بحبل الله، وملازمة ما يدعو إلى الجماعة والألفة، ومجانبة ما يدعو إلى الخلاف والفرقة" (ابن تيمية، 1995، 505).

ولم تصل أمّة الإسلام إلى ما وصلت إليه اليوم، من التّخلّف والتّفكّك والتّفرّق والضّعف إلّا بسبب انصرافهم عن دينهم. "وهذا التّفريق الّذي حصل من الأمّة؛ علمائها ومشايخها، وأمرائها وكبرائها، هو الذي أوجب تسلّط الأعداء عليها، وذلك بتركهم العمل بطاعة الله ورسوله... فمتى ترك النّاس بعض ما أمرهم الله به، وقعت بينهم العداوة والبغضاء، وإذا تفرّق القوم فسدوا وهلكوا، وإذا اجتمعوا صلحوا وملكوا؛ فإن الجماعة رحمة والفرقة عذاب، وجماع ذلك في الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، ...فمن الأمر بالمعروف: الأمر بالائتلاف والاجتماع، والنّهي عن الاختلاف والفرقة، ومن النّهي عن المنكر: إقامة الحدود على من خرج من شريعة الله –تعالى–" (ابن تيميّة، 1995، 421). فالضّعف لا شك أنّه في التّفرّق والتّشرذم، وهو من دعوى الجاهليّة، وسمات أهل الكفر، ولهذا يسعى الكفّار إلى تقويض رابطة الأمّة الإسلاميّة، وضرب وحدتها، وتفتيت جماعتها، ببعث نوازع الفرقة، وبثّ الخلاف، وإشاعة روح التّفرّق والتّمزّق بينهم.

الخاتمة والتّوصيات

إنّ المتأمّل إلى واقع الأمّة الإسلاميّة اليوم، يلاحظ أنّه قد تبدّل وتغيّر، ونزل بالأمّة كوارث وبلايا وفتن، وأصبحت قصعة مستباحة لأعدائها، بسبب تخلّيها عن كتاب ربّها، وقد رسم الباحث في هذا البحث أبرز المعالم الّتي تضيء لها الطّريق –إن أخذت بها–، وتجعل الخير في متناول يدها، وإنّ من أجلّ وأعظم المعالم والمنارات الّتي تهتدي بها:

(1) الاعتصام بالقرآن وتدبّره والعمل به، فبه يستنتج كلّ خير، ويزداد الإيمان في القلب وترسّخ شجرته، ويبدّد ظلام الجهل، ويهدي صاحبه إلى سواء الصّراط، وبه يتحقّق التّمكين في الأرض، وتيسّر الأسباب، ويستتبّ الأمن والأمان، وهو طريق عزّها وكرامتها ومجدها وسيادتها، وسبيلها للوصول إلى الخيريّة المنشودة في قول نبيّنا الكريم: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ».

(2) التّفقّه في الدّين: وهو الّذي يبنيها على العقيدة السّليمة، ويرشدها إلى شرعه القويم، الّذي يحقّق لها رضا الله –تعالى–، وسعادتها في الدّنيا، ونجاتها في الآخرة.

(3) التّربية الإيمانيّة: فهي ركيزة أساسيّة في تربية النّفس، وترقية الرّوح، وتوجيه السّلوك وتهذيبه، ممّا يؤهّلها لمواجهة الصّعوبات الّتي قد تعتريها، والأعاصير الّتي قد تحيق بها.

(4) الاجتماع على ما كان عليه السّلف الصّالح: فبه يصلح دينها ودنياها، وتتمكّن من أمرها، وتحقّق التّعاون والمحبّة والتّآخي والاتّحاد، فتستحقّ العلوّ والسّيادة والرّفعة والرّيادة.

(5) إنّ ضعف الأمّة الإسلاميّة يكمن في تفرّقها وتشرذمها، وابتعادها عن كتاب ربّها، وسنّة رسوله –صلّى الله عليه وسلّم–.

ختامًا يوصي الباحث رؤساء الدّول الإسلاميّة بمختلف أجناسهم وألوانهم ولغاتهم أن يجتمعوا تحت راية الإسلام، معتصمين بالكتاب والسّنّة، نابذين الأحقاد الدّفينة، والنّزاعات والرّايات العنصريّة، والأطماع الشّخصيّة؛ لتحقيق وحدة إسلاميّة موحّدة في المناهج والأفكار. كما يوصي علماء المسلمين ودعاتها قاطبة، في مشارق الأرض ومغاربها ببذل قصارى جهدهم في غرس معاني المحبّة والأخوّة والوحدة فى الأمّة الإسلاميّة.

ويوصي الحكومات الإسلاميّة بأن تسعى لتطهير أجهزة إعلامها المختلفة –مرئيّة ومسموعة ومقروءة–، من كلّ ما يخالف القيم الإسلاميّة، وتلزمها ببثّ البرامج الهادفة إلى تربية النّشء نظريًّا وعمليًّا على مبادئ الإسلام وقيمه المثلى.

REFERENCES

Abu Daud, Sulaiman Bin Al-Ash'ath. (2009). *Sunan Abi Daud*. Bairut: Dar Al-Risalah Al-'Alamiyah.

Ahmad, Abu Abdullah, Ahmad Bin Muhammad Bin Hanbal. (1421). *Al- Musnad*. Bairut: Muassasat Al-Risalah.

Al- Bukhari, Abu Abdu Allah, Muhammad Bin Esma'eel. (1422). *Sahih al- Bukhari* . Bairut: Dar Tawq Annajat.

Al-Bukhari, Muhammad. (2016.). *Al-Tafaqqu fi al-din, qira'a fi al-tawjihat al-Nabawiyah wa tasawwurat al-mujtama'*. http://almahajjafes.net/2016/10, (465).

Al-Ghunaiman, Abdullah Bin Muhammad. (2011). *Tham al-furqah walikhtilaf fi al-kitab wassunnah*. https://www.alukah.net/web/goniman/0/34260/, (65-66).

Al-Harari, Muhammad Al-Ameen Bin Abdullah. (1430). *Al-Kawkab al-wahhaj warrawdh al-bahhaj fi sharh sahih Muslim Bin Al-Hajaj*. Makkah Al-Mukarramah: Dar Al- Minhaj.

Al-Khadhir, Muhammad. (2010). *Mawsu'at al-a'mal al-kamilah*. Suriyah: Dar Al-Nawadir.

Al-Mawardi, Abu Al-Hasan, Ali Bin Muhammad. (1986). *Adab al-dunya wa al-din*. Bairut: Dar Maktabat Al-Hayat.

Al-Naqib, Khamis. (N.D). *Fan sina'at al-mawt*. http://www.daawa info.net/article.php, (1330).

Al-Nawawi, Yahya bin Sharaf. (1392). *Al-Minhaj sharh sahih Muslim Bin Al-Hajjaj*. Bairut: Dar Al- Kitab Al-'Arabi.

Al-Sa'di, Abdul Rahman. (1422). *Bahjat qulub al- abrar waqurrat 'auyun al-akhyar fi sharh jawami' al-akhbar*. Al-Riyadh: Maktabat Al-Rushd Linnashr Wattawzee'.

Al-Sa'di, Abdul Rahman. (1422). *Taisir al-karim al-Rahman fi tafsir kalam al-mannan*. Bairut: Muassasat Al-Risalah.

Al-Sadhan, Abdul Azeez Bin Muhammad. (N.D). *Ma'alim fi awqat al- fitan wa nawazil*. https://www.noor %D9%84-pdf.

Al-Tirmidhi, Abu 'Esa, Muhammad Bin 'Esa. (1395). *Sunan al-Tirmidhi* . Mesr: Maktabat Mustafa Al-Babi Al-Halabi

Ibn Al-Qayem, Muhammad Bin Abu Bakr. (1416). *Madarij Al-salikin bain manazil iyaka na'budu wa iyaka nasta'in*. Bairut: Dar Al-Kitab Al-'Arabi.

Ibn Battal, Abu Al-Hasan, Ali Bin Khalaf. (1414). *Sharh sahih al-Bukhari*. Bairut: Muassasat Al-Risalah.

Ibn Hajar Al-'Asqalani, Abu Al-Fadhl, Ahmad Bin Ali. (1379). *Fath al-Bari sharh saheeh Al-Bukhari*. Bairut: Dar Al-Kitab Al-'Arabi.

Ibn Hibban, Abu Hatim, Muhammad Bin Hibban. (1416). *Sahih Ibn Hibban*. Bairut: Dar Al- Kitab Al-'Arabi.

Ibn Taimiya, Abu Al- Abbas, Ahmed Bin Abdul Haleem. (1416). *Majmu' al-fatawa*. Al- Madinah: Majma' Al-Malik Fahd Leteba'at Al-Mushaf Al-Shareef.

Muslem, Abu Al-Hasan.Muslem Bin Al-Hajjaj. (N.D). *Sahih Muslim*. Bairut: Dar Ehya Atturath Al- 'Arabi.